

درس عام عن

# فضل قيام الليل وفضل الذكر

أ. أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إيكُنّ سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

[/http://tafaregdrooms.blogspot.com](http://tafaregdrooms.blogspot.com)

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
- ✓ هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله عزّ وجلّ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله.
- والله الموفق لما يحبّ ويرضى.

**مقدمة:**

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين

نحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً، ونسأله بمّنه وكرمه أن يجعلنا من أهل القيام، والصّيام، اللّذين وُفقوا وقُبِلوا وزاد إيمانهم في هذا الشهر العظيم.

اليوم ونحن قد بلغنا منتصف الشّهر وقد مرّت معنا خمسة عشر ليلة، وسنستقبل اللّيلة السّادسة عشر، أسأل الله عزّ وجلّ بمّنه وكرمه أن يتمّ علينا نعمته، وأن يجعلنا ممّن قام ليلة القدر.

سنفصل اليوم كلامنا عن إبراهيم عليه السّلام ومنزلته العظيمة، بالكلام عن هذا الشّهر العظيم الّذي نحن فيه، واغتنام ما بقي منه، فقد تسارعت أيّامه سرعةً لا يكاد الإنسان يستفيق من كثرة سرعته، وخوفاً على ذهاب بقيّة أيّامه ولم نغتنم ساعاته، فأذكّر نفسي وأذكّركم بفضل ليلة القدر والقيام فيها، لنُدعُو في الأيّام القادمة أن يبلغنا الله عزّ وجلّ قيامها، وأذكّر نفسي وأذكّركم بفضل ذكر الله، لتبقى ألسنتنا ذاكرة لله.

**فضل قيام الليل:**

قيام اللّيل عموماً في كلّ السّنة هو سنّة مؤكّدة، وقرية مُعظّمة، وقد تواترت التّصوص في كتاب الله بالحثّ عليها، وبيان أنّ شأن أولياء الله وخاصّته من عباده، الّذين مدحهم وأثنى عليهم **{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) هُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}** فهؤلاء أولياء الله قد أتى وصفهم كما في سورة السّجدة **{إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}**.

<sup>١</sup> [يونس: ٦٢-٦٤]

<sup>٢</sup> [السّجدة: ١٥-١٦]

{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} وهذه إشارة إلى طول قيامهم في ليالهم {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} والله عز وجل وصفهم أيضا في سورة الفرقان: {وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا} .

٢

سنجد الإشارة إلى قيام الليل كثيرا في كتاب الله حتى أن المتقين في سورة الذاريات، الذين وُصِفَ مكانهم أنهم في فسيح الجنات، كانت صفتهم البارزة أنهم يقومون الليل {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ} وقيام الليل له شأن عظيم في تثبيت الإيمان، وهذا الأمر واضح في سورة المزمل لما يقول الله عز وجل لرسوله: {قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} .

٤

✓ وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ)) يعني: بعد الصلاة الفريضة، أفضل صلاة هي صلاة الليل. °  
✓ وفي الحديث: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ)) .

٦

✓ وأيضاً في الحديث يسأل الصحابي النبي صلى الله عليه وسلم: ((أَيُّ اللَّيْلِ أَسْمَعُ؟)) يعني: أخرى بإجابة الدعاء فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((جَوْفُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَصَلِّ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةً مَكْتُوبَةً))  
✓ وحديث نزول ربنا نزولا يليق بجلاله كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: ((مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَعْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ)) هذا كله يجب ألا تحصل الغفلة عنه.  
✓ وفي صحيح مسلم أيضا عن جابر رضي الله عنه، عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ)) .. وهي كل ليلة.

٨

١ [السجدة: ١٧]

٢ [الفرقان: ٦٤-٦٥]

٣ [الذاريات: ١٥-١٦]

٤ [المزمل: ٢-٥]

٥ صحيح مسلم - كتاب الصيام - باب فضل صوم المحرم - حديث رقم ٢٠٦٩

٦ سنن الترمذي - أبواب الدعوات - حديث رقم ٣٥٧٩

٧ سنن أبي داود - الصلاة - حديث رقم ١٢٧٧

٨ صحيح البخاري - كتاب التهجد - باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل - حديث رقم ١١٠٦

٩ صحيح مسلم - صلاة المسافرين وقصرها - حديث رقم ٧٥٧

✓ بل من تَعَارَ من اللَّيْلِ كما في الحديث الَّذِي فِي الْبَخَارِيِّ، تَعَارَ مِنَ اللَّيْلِ، يَعْنِي: اسْتَيْقَظَ، تَقَلَّبَ؛ فَلَهَجَ بِذِكْرِ اللَّهِ، قَالَ: ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتَجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ)) فهذا كله يجب ألا ننساه، لكن الإشكال أننا نصلي التراويح في أول الليل وننسى باقي فضل الليل.

✓ وفي الحديث: ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَعُرْفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هِيَ لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطَعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ))

✓ من أهم أسباب النجاة من الفتن، والسلامة من دخول النار، العناية بقيام الليل، وقد ورد في الحديث: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَيْقَظَ لَيْلَةً، فَقَالَ: ((سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أَنْزَلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتْنَةِ، مَاذَا أَنْزَلَ مِنَ الْحَزَائِنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجْرَاتِ؟)) هذا بيان لأثر قيام الليل لمسألة الفتن.

فالذي نفهمه من هذه النصوص أن قيام الليل:

- ← من أسباب ولاية الله ومحبته.
- ← ومن أسباب زهاب الحزن والخوف.
- ← وهو من سمات الصالحين.
- ← ومن أعظم الأمور المعينة على مصالح الدنيا والآخرة.
- ← وهذه الصلاة \_ صلاة الليل \_ أفضل الصلاة بعد الفريضة.
- ← وهي من إجابة الدعاء.
- ← وهي نجاة من الفتن.
- ← ونجاة من النار.
- ← وسبب للفوز بأعالي الجنان.

هذا على وجه العموم، نأتي على وجه الخصوص في شهر رمضان:

<sup>١</sup> صحيح البخاري \_ كتاب التهجد \_ باب فضل من تعار من الليل فصلى \_ حديث رقم ١١١٦

<sup>٢</sup> جامع الترمذي \_ أبواب صفة الجنة \_ باب ما جاء في صفة غرف الجنة \_ حديث رقم ٢٥٦٥

<sup>٣</sup> صحيح البخاري \_ كتاب التهجد \_ باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل والتوافل من غير إيجاب \_ حديث رقم ١٠٨٧

## فضل قيام الليل في رمضان:

ظهر لنا أنّ الصيام والقيام في شهر رمضان متلازمان عند أهل الإيمان:

✓ والتّصوّص دالّة على ذلك مبيّنة لهذه الحالة، حال اجتماع الإيمان مع القيام والصيام: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) و ((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) فالمُشْتَرِكُ هو: الإيمان، ويخرج منه الصيام، ويخرج منه القيام، فهي من الشّؤون المشتركة في رمضان.

✓ والقيام في رمضان على الصّورة التي ترينها من الشّعائر العظيمة التي سنّها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقوله، وفعله، ورغب فيها، فقد ثبت في الصّحيح عن عائشة رضي الله عنها: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ لَيْلَةً مِنْ جُوفِ اللَّيْلِ، فَصَلَّى فِي الْمَسْجِدِ، وَصَلَّى رِجَالُ بِصَلَاتِهِ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا، فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ فَصَلَّى فَصَلُّوا مَعَهُ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا، فَكَثُرَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى فَصَلُّوا بِصَلَاتِهِ، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةَ عَجَزَ الْمَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ)) بمعنى: أنّه امتلأ ((حَتَّى خَرَجَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ، فَلَمَّا قَضَى الْفَجْرَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَتَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ، وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ، فَتَعَجِزُوا عَنْهَا)) وهذا كان منه في رمضان، وهذا من شفقة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ومن جهة الصّحابة فهو من حرصهم ورغبتهم في قيام الليل.

✓ نأتي على ما سنستقبل أيضا: ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) فمعنى هذا أنّه ما سنستقبله بعد ذلك، خصوصا في الأيام العشر، سنرى أنّ إحياءها من سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم تحريّا ليلية القدر، وطلبا لما فيها من عظيم الأجر.

✓ قيام الليل في رمضان سيشمل أوّله وآخره، والتّراوح من قيام الليل، وفي الحديث: ((إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ)) فالذي يتيسر له أن يصلّي مع الإمام حتى ينصرف يحصل له أجر قيام ليلة، يعني: كأنّه قام طول الليل، فإذا أحببت أن تُصلّي من آخر الليل من أجل أن تفوزي بفضائل صلاة جوف الليل، فإنّها مشهُودّة، مَكْتُوبَةٌ، يُسْمَعُ فِيهَا الدَّعَاءُ، يُعْفَرُ فِيهَا الذَّنْبُ، أو حتى لو ما حصلت الصّلاة في آخر الليل فإنّه يحصل الذّكر، ويحصل الدّعاء، ويحصل الاستغفار.

<sup>١</sup> صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب: صوم رمضان احتسابا من الإيمان - حديث رقم ٣٨

<sup>٢</sup> صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب: تطوع قيام رمضان من الإيمان - حديث رقم ٣٧

<sup>٣</sup> صحيح البخاري - كتاب صلاة التراويح - باب فضل من قام رمضان - حديث رقم ١٩٢٩

<sup>٤</sup> صحيح البخاري - كتاب فضل ليلة القدر - باب فضل ليلة القدر - حديث رقم ١٩٣٢

<sup>٥</sup> سنن الترمذي - الصوم - حديث رقم ٨٠٦

## فضل قيام ليلة القدر:

فالمثير الآن أنه توقّر للناس أن يكونوا في الليل مستيقظين - نحن نتكلّم عن الغالب من الناس - توقّر لهم أن يكونوا مستيقظين لكنّهم ينسوا أنه هذا وقت التنزّل الإلهي، وأنّه هذا وقت الذكر، يعني: في ليّهم، فلا يناموا! ولا يذكروا! فيكون منهم أن تضيع الأوقات.

نفترض الآن أنه لديك قوّة وصلّيت مع الإمام حتّى انصرف، كتّبت لك قيام ليلة، وكنّت قد أوترت معه وصار معي قوّة وأريد بعدها أن أصلّي؛ صلاة اللّيل مثنى، مثنى، صلّي لكن لا توترى مرّة أخرى.

المقصود أنّ أوقات شهر رمضان هي أوقات شريفة، مُباركة، ينبغي للموقّق أن يغتنمها في الثّرية، يعني: الإلحاح على الله بطلب خيري الدّنيا والآخرة، طلب التّوفيق من ربّ العالمين، وطلب البركة في الأعمار؛ ومن أكثر ما يُطلب الآن ونحن تقترب أنفاسنا من آخر الشّهر - من تحريّ ليلة القدر - فإنّ أعظم ما يُطلب أن نقوم ليلة القدر وأن نُوفّق لقيامها، نسأل الله عزّ وجلّ أن يُوفّقني، ويوفّقكم، ويوفّق أبناءنا، ويوفّق المسلمين لقيام ليلة القدر، هذه اللّيلة الشّريفة لا بدّ أن يظهر منّا عناية خاصّة بها، فلا بدّ أن يظهر منّا سؤال ربّنا والإلحاح عليه في التّوفيق لقيامها، والتّصوص كثيرة في بيان فضلها منها:

✓ أمّا اللّيلة التي أنزل فيها القرآن **{ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ }** فهذا دليل على شرفها، ومكانتها، نزل فيها أعظم الذّكر، وأشرف الكتب.

✓ وفضل القرآن فضل يُحكى فيه ولا ينتهي، فاللّيلة التي نزل فيها هي من أعظم اللّيالي، والله عزّ وجلّ وصفها أمّا مباركة **{ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ }** كثر خيرها، وعظّم فضلها.

✓ ومن هذا ما يعطيه الله عزّ وجلّ لقائمها إيماناً واحتساباً من الخير الكثير، والأجر الوفير، وقد أُخبر كما في سورة الدّخان أنه **{ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ }** يعني: يُفصل من اللّوح المحفوظ إلى صُحف الكتّبة من الملائكة من الأمور المحكّمة والتي تتعلّق بالعباد في أمور معاشهم، ومعادهم، إلى مثل هذا من العام القادم، مثل: الأرزاق، والأعمال، والحوادث، والآجال، وهذا بمقتضى علم الله تعالى، وحكمته، ومشيتته، وقدرته، وهذا كلّه بيّن لنا ما لتلك اللّيلة من شرف.

[القدر: ١]

[الدخان: ٣]

[الدخان: ٤]

✓ ولنتأمل **{ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ }** فهذا يُنَبِّئُهُ على فضل قيامها، وكثرة الثواب على العمل فيها، مع مضاعفة العمل، لأنَّ عبادة الله تعالى وما يتأَلَّ العبد من الثواب في هذه الليلة خير من العِبَادَةِ في ألف شهر خالية من هذه الليلة، والعمل أصلاً يُضَاعَفُ ثَوَابُهُ في رمضان، فكيف إذا وقع في ليلة القدر؟ فلا يعلم إلاَّ الله تعالى ما يفوز به هذا الذي قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً.

✓ وفي هذه الليلة كما نعلم تنزل الملائكة فيها إلى الأرض بالخير، والبركة، والرحمة لأهل الإيمان **{ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ }** فهي ليلة مُطمئننة، تكثر فيها السَّلَامَةُ من العذاب، والإعانة على طاعة الرَّبِّ الثَّوَابِ سبحانه وتعالى.

✓ وهي ليلة تُغْفَرُ فيها الذَّنُوبُ لَأَنَّهُ: **((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))** فهي ليلة تُغْفَرُ فيها الذَّنُوبُ، وتُفْتَحُ فيها أبواب الخير، وتُعْظَمُ الأَجُورُ، وتُيسَّرُ الأمور.

✓ كلَّ هذه الفضائل تسبب لنا الإلحاح على الله أن يُبَلِّغنا ليلة القدر، فهذا يكون من دعائنا في هذه الأيام، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أمرنا أمراً واضحاً: **((الْتَمِسُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ))** وما أخفاها الله عزَّ وجلَّ إلاَّ ليكثر اجتهادنا، وليكثر دُعَاؤنا بأن نُبَلِّغَهَا، وبأننا نقوم فيها كما يحبُّ ويرضاه سبحانه وتعالى؛ ولهذا أتت سنَّةُ الاعتكاف ليحصل الانقطاع في المسجد عن الحَلَاتِقِ، ويشتغل بطاعة الله، ويجس نفسه على الطَّاعَةِ، ويشتغل لسانه بدعاء الله وبذكر الله، ويعتكف قلبه على الله، فيكون بهذا قد استقبل هذه الليلة بكلِّ قُوَاهُ.

الآن المُحْزِنُ أَنَّنَا نجد كثيراً من الكسل كلما تقدَّمت بنا الأيام في هذا الشهر، وأسَّرعَت بنا السَّاعَاتُ، نجد تساهلاً ونجداً كسلاً أكثر ممَّا سبق في الشهر \_ نعوذ بالله \_ يبدؤون يتأخرون عن الفرائض! هذا كلُّه نخاف أن يكون علامات لعدم قبول الله عزَّ وجلَّ للعبد، شيءٌ مُخَوِّفٌ أن تجد نفسك كلما تقدَّمت بك الأيام قلَّ اجتهادك في طاعة الله! بينما المفروض أن يكون إيمانك قد زاد.

١ [القدر: ٣]

٢ [القدر: ٤-٥]

٣ صحيح البخاري \_ كتاب فضل ليلة القدر \_ باب فضل ليلة القدر \_ حديث رقم ١٩٣٢

٤ مسند أحمد ابن حنبل \_ مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا \_ حديث رقم ٤٨٠٦

## فضل كثرة ذكر الله:

خوفاً من تضييع هذه الفرصة الثمينة ألا وهي ساعات هذا الشهر، لا بد أن يشعر الإنسان أن الله يسر له اغتنام هذا الشهر، وتفضل عليه بأن مد له في العمر، فما بقي عليه إلا أن يبقى ليله ونهاره ذاكراً لله، ذاكراً للقاء الله، يعني: الدنيا وما فيها لا شيء.

• بل قد ورد في الحديث: ((مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ، إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ حَيْفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ هُمْ حَسْرَةً)).<sup>١</sup>

• فلا بد من كثرة ذكر الله لينشط الفؤاد ويتعد عن صفة التفاق {وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَمَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً} وانظروا إلى الذكر كيف أنه يتضمن الدعاء، ويزيد عليه، فلما يخبرنا الله عز وجل في سورة الأنبياء عن ذو النون: {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَنَّبْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ} فأصبح الذكر متضمناً للدعاء.

• ويكفينا في ذلك أن ربنا يقول: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} وقد وصف المؤمنين بكثرة ذكره {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} والله عز وجل يقول: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} وقد ورد في الحديث: ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ))<sup>٢</sup>

• بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن: ((مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ))<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> سنن أبي داود - الأدب - حديث رقم ٤٨٥٥

<sup>٢</sup> [المزمل: ٨]

<sup>٣</sup> [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨]

<sup>٤</sup> [البقرة: ١٥٢]

<sup>٥</sup> [الرعد: ٢٨]

<sup>٦</sup> [الأحزاب: ٣٥]

<sup>٧</sup> صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى: {وَيُحَذِّرُكَ اللَّهُ نَفْسَهُ} [آل عمران: ٢٨] - حديث رقم ٧٠١٠

<sup>٨</sup> صحيح البخاري - كتاب الدعوات - باب فضل ذكر الله عز وجل - حديث رقم ٦٠٧٠

• وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ)) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((قَالَ: الدَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَالدَّاكِرَاتُ)) فهذا كله إشارة إلى عظمة مسألة الذكر.

• لما يأتي الرجل للرسول صلى الله عليه وسلم يقول له: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانَكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»))

• ولهذا كانت عائشة تقول كما أخرج مسلم: ((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ)) يعني: على كل أحواله، مثلما أوصى الرجل: ((لَا يَزَالُ لِسَانَكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)) هناك أوقات كثيرة حقيقة مُهْدَرَةٌ وما يخطر ببالنا أنه لا بد أن أكثر من ذكر الله، فاليوم أُطْلِبُ من ربنا وأنت صائم في نهارك، أذكر الله وأطلب منه حَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وأنت قائم في ليلك وقد انصرفت مع إمامك، أو انتهيت من صلاتك أكثر من ذكر الله، وادعو ما تشتهي.

• فالمهم أنه لا بد أن يبقى حالنا حال المتضرعين، **{وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا}**؛ فلا بد أن يكون حالنا حال المتضرعين.

• ولا تنسوا أن أحد السبعة الذين يظلمهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله: ((رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ))

• ذَكَرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي لَا تُكَلِّفُ جَهْدًا، وَلَا تَكُونُ فِيهِ مَشَقَّةٌ، وَهِيَ حَبِيبَةٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، رَوَى البخاري في صحيحه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، حَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ))

• ذَكَرُ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَطْرُدُ عَنَّا الْوَسَاوِسَ، وَيُخَلِّصُنَا مِنَ الشَّيَاطِينِ **{وَأَمَّا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}**

• وتسمعين في المؤمنون **{وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨)}**

• وهذا حال المؤمنين: **{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ}**

<sup>١</sup> صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والستغفار - باب الحديث على ذكر الله تعالى - حديث رقم ٤٩٦٣

<sup>٢</sup> سنن الترمذي - الدعوات - حديث رقم ٣٣٧٥

<sup>٣</sup> صحيح مسلم - كتاب الحيض - باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها - حديث رقم ٥٩٣

<sup>٤</sup> [الأعراف: ٢٠٥]

<sup>٥</sup> صحيح البخاري - كتاب الرقاق - باب البكاء من خشية الله - حديث رقم ٦١٤١

<sup>٦</sup> صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى: {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة} [الأنبياء: ٤٧]، وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن - حديث رقم ٧١٦٤

<sup>٧</sup> [فصلت: ٣٦]

<sup>٨</sup> [المؤمنون: ٩٧-٩٨]

## من فوائد الذكر:

فللذكر فوائد عظيمة لا بدّ أن نراجعها دائما، ومن أجل أن تنشط نفوسنا، وتبقى قلوبنا معلقة بالله عزّ وجلّ:

- ونحن قد مرّ معنا هذا الحديث: ((أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ؟ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ تَعَاطِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَنْ أَنْ تَلْقُوا عَدُوَّكُمْ غَدًا فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ. قَالُوا: بَلَى. يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ)).<sup>٢</sup>

- والنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر: ((أَلَا وَإِنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ هُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ)) وأحبّ الكلام إلى الله، ومن قالها غرست له شجرة في الجنة.<sup>٣</sup>

فهذا الباب باب الذكر هو الذي يلج منه أهل التقوى والكرم، وهو ميدان السبق، وهو الذي تُعَمَّرُ به الأوقات؛ فلا نخطئ حَظِيئَةً من يقول: (فعلنا كذا، وفعلنا كذا، وانتهينا! فقد قرأنا وردنا وصلنا التراويح وصمنا نهارنا) ثم يفتحون هواتفهم! وما يكون من أدوات التسلية التي تبعد الناس عن ذكر الله! فلا بدّ أن تكون:

- ✓ لاهجا ليلا ونهارا بذكر الله.
- ✓ وداعيا وطالبا لله أن يقبل منك أعمالك.
- ✓ وأن يبارك لك فيما عملت.
- ✓ وأن يُضاعفه لك.
- ✓ وأن يبلغك ليلة القدر.

فأنت مُعتني جدًا بهذه الليلة، راغبا في أن تكون من أهلها:

- ✓ فأكثر من ذكر الله.
- ✓ وأظهر لربنا حبّ رضاه.
- ✓ واطلب من ربنا أن يبلغك ليلة القدر.

<sup>١</sup> [الأعراف: ٢٠١]

<sup>٢</sup> مسند أحمد ابن حنبل - مُسْنَدُ الْأَنْصَارِ - حَدِيثُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - حَدِيثُ رَقْمٍ ٢١٦٠٠

<sup>٣</sup> مسند أحمد ابن حنبل - أَوَّلُ مُسْنَدِ الْكُوفِيِّينَ - حَدِيثُ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَدِيثُ رَقْمٍ ١٨٠٧٣

فما نصل لنصف الشهر ونحن لم نستفد من ليله ونهاره! وما نصل لنصف الشهر ونحن لم نهتم بعد بهذا العمل العظيم! الذي هو: قيام الليل.

### من فوائد الذكر لابن القيم:

ولابن القيم في كتابه الوابل الصيب من الكلم الطيب \_ فوائد الذكر \_ يعني: جمع في هذا الكتاب شيئاً من فوائد الذكر:

١. منها (أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره).
٢. ومنها (أنه يرضي الرحمن عز وجل).
٣. ومنها (أنه يُزيل الهم والغم عن القلب).
٤. ومنها (أنه يجلب للقلب الفرح والسرور..).
٥. ومنها أيضاً (أنه يقوى القلب والبدن).
٦. ومنها (أنه ينور الوجه..).
٧. و (أنه يجلب الرزق).
٨. و (أنه يكسو الذكور المهابة والحلاوة والنضرة).
٩. و (أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام.. فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره..).
١٠. ومن ذلك أيضاً أنّ الذكر (يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الاحسان، فيعبد الله كأنه يراه..).
١١. وأيضاً الذكر (يورثه الإنابة وهي) كثرة (الرجوع إلى الله عز وجل..). فكثرة الذكر توجب كثرة الرجوع، فيرجع بقلبه تبعاً للسانه.
١٢. أيضاً من فوائد الذكر (أنه يورثه القرب منه) من رب العالمين (فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قرب منه وعلى قدر غفلته يكون بعده منه).
١٣. وأيضاً من فوائد الذكر (أنه يفتح له باباً عظيماً من أبواب المعرفة وكلّما أكثر العبد (من الذكر ازداد من المعرفة) بالله.
١٤. من الفوائد أيضاً (أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل..). يعني يصبح العبد مُعظماً لربه بسبب ما في القلب من استحضار لكمال الله.
١٥. (أنه يورثه ذكر الله تعالى له، كما قال تعالى: {فأذكروني أذكركم}..). فمن الفوائد المشهورة والمعروفة أنّ ذكر العبد لربه يسبب ذكر الله له.

١٦. وأنَّ الذِّكْرَ أيضا (يورث حياة القلب..).
١٧. وَ (أنَّه قوت القلب والروح) فإنَّ الذِّكْرَ بمثابة القوت للقلب والروح له، فهو حياة للروح، وهو في حقيقته روح للحياة، (فإذا فقد العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته..).
١٨. من فوائد الذِّكْر (أنَّه يحطُّ الخطايا ويذهبها فإنَّه من أعظم الحسنات والحسنات يذهبن السيئات).
١٩. الذِّكْر هو نوع من أنواع التَّعَرَّفِ إلى الله في الرِّخاء كما يذكر ابن القيم: (أنَّ العبد إذا تعرَّفَ إلى الله تعالى بذكره في الرِّخاء عرفه في الشِّدَّة) وهو ينقل أنَّه في بعض الآثار (..أنَّ العبد المطيع الذَّاكِر لله تعالى إذا أصابته شِدَّة أو سأل الله تعالى حاجة قالت الملائكة: يا رب صوت معروف من عبد معروف..).
٢٠. وأيضاً من فوائد الذِّكْر (أنَّه يُنَجِّي من عذاب الله تعالى كما قال معاذ رضي الله عنه ويروى مرفوعاً ((مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ مِنْ عَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)).
٢١. أيضاً من فوائد الذِّكْر (أنَّه سبب تنزيل السَّكِينَةِ وَعَشْيَانِ الرَّحْمَةِ وحفوف الملائكة بالذَّاكِر كما أخبر به النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).
٢٢. أيضاً من فوائد الذِّكْر (أنَّه سبب اشتغال اللِّسَانِ عن الغيبة والتَّمِيمَةِ والكذب والفحش والباطل فإنَّ العبد لا بدَّ له من أن يتكلَّم فإن لم يتكلَّم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلَّم بهذه المحرَّمات أو بعضها، ولا سبيل إلى السَّلَامَةِ منها البتَّة إلا بذكر الله تعالى، والمشاهدة والتَّجْرِبَةُ شاهدان بذلك فمن عوَّد لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللَّغو ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى ترطب بكلِّ باطل ولغو وفحش ولا حول ولا قوَّة إلا بالله).
٢٣. أيضاً من الفوائد (أنَّ مجالس الذِّكْر مجالس الملائكة ومجالس اللُّغو والغفلة مجالس الشَّيَاطِينِ فليتخيَّر العبد أعجبهما إليه..).
٢٤. من الفوائد أيضاً (أنَّه يؤمِّن العبد من الحسرة يوم القيامة فإنَّ كلَّ مجلس لا يذكر العبد فيه ربَّه تعالى كان عليه حسرة..).
٢٥. أيضاً ذكر الفائدة التي مرَّت معنا (أنَّه مع البكاء في الخلوة) سيكون سبباً (لإِظلال الله تعالى العبد يوم الحرِّ الأكبر في ظلِّ عرشه والنَّاس في حرِّ الشَّمْسِ..).
٢٦. من الفوائد (أنَّ الاشتغال به سبب لعطاء الله للذَّاكِر أفضل ما يعطي السَّائِلين..) وقد مرَّ معنا أنَّ نفس الذِّكْر هو سؤال لأنَّه لما ذُو التَّوْنِ قال: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} قال الله: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ} فالمعنى أنَّ الذَّاكِر إذا كان دائم الذِّكْر يُعطى أفضل ما يُعطى السَّائِلون.

١ موطأ مالك - كتاب الفُؤْرَان - باب ما جاء في ذِكْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - حديث رقم ٥٠٠

٢٧. أيضا من فوائد الذكر (أنه أيسر العبادات وهو من أجلها وأفضلها فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها ولو تحرك عضو من الانسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة بل لا يمكنه ذلك) وهذا أمر نتكلمه دائما، فإن الله من تمام فضله وعظمته وجلاله أن خلقنا على خلقة تعيننا على العبادة.

٢٨. أيضا من فوائد الذكر (أنه غراس الجنة..) وقد ورد في الحديث أن إبراهيم الخليل عليه السلام قال: (( يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِي أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ الثَّرِيَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَهْمَا قِيَعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ )) (..).

٣ ٤

وهذه الفائدة في الحقيقة أحرناها لهذا الموطن لنرى فضل الله عز وجل علينا بمُتابعتنا لإبراهيم عليه السلام، وكيف أن إبراهيم عليه السلام الذي هو قُدتونا، والذي نحن نتبع ملته باتباعنا لرسولنا صلى الله عليه وسلم، فقد أمر رسولنا صلى الله عليه وسلم أن يتبع ملة إبراهيم ونحن أتباعه على ملة إبراهيم، كيف أن الخليل يقول لنبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم: ((أَقْرِي أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ)) بهذا الخبر العظيم: ((أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ الثَّرِيَةِ)) فمن المؤكد أن هذا الأمر متصل بحالنا الذي نحن نبحث فيه، فنحن اعتقاداً نعتقد بملة إبراهيم، وعملاً أيضا نعمل بوصية إبراهيم عليه السلام، الذي أوصى بها نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام، وعلى إبراهيم الصلاة والسلام، وعليه السلام كما سلم على هذه الأمة.

### ذكر الله مع اليقين بلقاء الله:

المقصد ألا تذهب هذه الأيام العظيمة، وقلوبنا وألسنتنا لم تشتغل بذكر الله.

من أجل أن نصل إلى هذا الأمر المهم \_ استقامة القلب \_ أكثر من ذكر الله وقلبك مملوء بمحبة الله، فتكون من أولياء الله، والعجيب أن يكون الذكر يسيراً، ومشهوراً، ومعروفاً، لكن الكسل والغفلة تُذهبان هذه البركة:

● وقد قال مالك بن دينار رحمه الله: (مَا تَنَعَّمُ الْمُنْعَمُونَ بِمِثْلِ ذِكْرِ اللَّهِ) يعني: لا بد أن نذكر أنفسنا بأن هذا الذكر إنما هو من التعميم فلا تحرم نفسك منه.

● وقد قال أحد الصالحين: (مَا أَعْلَمُ مَعْصِيَةً أَقْبَحُ مِنْ تَرْكِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى)

<sup>١</sup> [الأنبياء: ٨٧]

<sup>٢</sup> [الأنبياء: ٨٨]

<sup>٣</sup> سنن الترمذي \_ الدعوات \_ حديث رقم ٣٤٦٢

<sup>٤</sup> الوابل الصيب من الكلم الطيب (ت: الأرنؤوط) \_ ابن القيم \_ فوائد الذكر صفحة ٦٩ (بتصرف).

<sup>٥</sup> الزهد لأحمد بن حنبل \_ زهد محمد بن سيرين رحمه الله تعالى \_ حديث رقم ١٨٩٦

- وقد ذكر العلماء أن: (من علامات النفاق ثقل الذكر على اللسان) فلا بد أن نتوب إلى الله من أجل أن يخفّ علينا الذكر، ولا بد أن نُكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله من أجل أن تقوى قلوبنا على الذكر.
- وفي بعض الآثار أن لقمان قال: (إنَّ مَثَلَ أَهْلِ الذِّكْرِ وَالْعَقْلَةِ كَمَثَلِ الثُّورِ وَالظُّلْمَةِ) .
- وقد قال الربيع بن خثيم: (أَقْلِلِ الْكَلَامَ إِلَّا مِنْ تَسْعٍ: تَكْبِيرٍ، وَهَلِيلٍ، وَتَسْبِيحٍ، وَتَحْمِيدٍ، وَسُؤَالِكَ الْخَيْرِ، وَتَعَوُّذِكَ مِنَ الشَّرِّ، وَأَمْرِكَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيِكَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَقِرَاءَتِكَ الْقُرْآنِ) .
- ومما يُطلب ذكره في كلِّ وقت وفي كلِّ حين: ذكر الموت لطلب حسن الخاتمة، وذكر الموت للاجتهاد في الطاعة، وذكر الموت لتوبة النصوح، فنحن نذكر الله ونذكر لقاء الله، يعني: نفكر في الموت بأنه وقت لقاء الله وَ ((مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ)) .

- وقد قال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى: (مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ لَمْ يَمُتْ قَبْلَ أَجَلِهِ) هذا أول أمر لا بد أن نتفق عليه (وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ مِنَ الْخَيْرِ) يعني: لما تُكثر من ذكر الموت فإنك لن تغيّر شيئاً في أجلك، وذكر الموت لا بد ألا يكون ذكراً وسواسياً بحيث أنك تكتئب، وإنما لا بد أن يكون ذكراً إيمانياً، تذكر لقاء الله، وتحب لقاء الله، وكما يقول يحيى بن معاذ فإنه سيدخل عليك ثلاث خصال من الخير:

١. (أَوْهَلًا: الْمُبَادَرَةُ إِلَى التَّوْبَةِ) وهذا الزمن الذي نحن فيه أعظم زمن للتوبة، نتوب من الذنوب عموماً، ونتوب من الذنوب الخاصة التي نعرفها على أنفسنا، فتحفّ ألسنتنا، ونذكر ربّنا، ونطيعه، ونغتنيم الليالي الفاضلة.
٢. (وَالثَّانِيَةُ: الْقَنَاعَةُ بِرِزْقِ يَسِيرٍ)
٣. (وَالثَّالِثَةُ: النَّشَاطُ فِي الْعِبَادَةِ)

فإذا نحن سنذكر ربّنا، ونذكر لقاء ربّنا، فهذا ينشّطنا على التوبة، وينشّطنا في العبادة، ويرضينا بأرزاقنا.

- وقد قال إبراهيم بن أدهم: (إِنَّ لِلْمَوْتِ كَأْسًا لَا يَقْوَى عَلَيْهَا إِلَّا خَائِفٌ وَجِلٌّ مُطِيعٌ لِلَّهِ كَانَ يَتَوَقَّعُهَا) يعني: مستعدّ.

- وأنتم الآن فكروا فيما مضى من هذا الشهر، (إنَّ الدُّنْيَا حِلْمٌ، وَالْآخِرَةُ يَقْظَةٌ)

<sup>١</sup> روضة الناظرين و خلاصة مناقب الصالحين - أحمد بن محمد الرفاعي الوتري - صفحة (٨٩).

<sup>٢</sup> البداية والنهاية - ابن كثير - المجلد التاسع.

<sup>٣</sup> العقد الفريد - أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي - (ط. دار الكتب العلمية) - صفحة ٩٣.

<sup>٤</sup> صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاءه - حديث رقم ٤٩٧٥

<sup>٥</sup> حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني - الجزء العاشر صفحة ٦٦.

<sup>٦</sup> مجموع رسائل ابن رجب الحنبلي - ابن رجب الحنبلي - الجزء الأول والثاني صفحة ١٦٠.

● انظر كيف تسرع بنا الأيام (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْجُو مِنْ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَأَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ فَلْيَكُنْ عَمَلُهُ فِي السِّرِّ أَكْثَرَ مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ) .

٢

● وقد قال سفيان الثوري: (مَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْقَبْرِ وَجَدَهُ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ غَفَلَ عَن ذِكْرِهِ وَجَدَهُ حُفْرَةً مِنْ حُفْرِ النَّارِ) نعوذ بالله.

٣

● وقد قال الحسن البصري: (مَيِّتٌ غَدٍ يُسَبِّحُ مَيِّتَ الْيَوْمِ)

٤

● فهذا كله يساعدنا على اغتنام الفرصة، فالدنيا كالحلم، ينتفع منها أهل الإيمان، ينتفع منها أهل القرآن، ينتفع منها أهل الديانة، وقد قال الله عز وجل في سورة الروم: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ} ما لبثوا غير ساعة {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ} ف يعني حتى يوم القيامة، وسرعة مجيئها، وإذا قامت الساعة يقسم هؤلاء المجرمون بالله أنهم ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة، وهذا يعني اعتذار منهم، لعله ينفع الاعتذار، فيجيب {الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ} فمن الله عليهم بهاتين الصفتين، وهذا يعني: أنهم استفادوا منها في الدنيا، وآثروا الآخرة على الدنيا، قالوا لهم: {لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ} يعني: في قضائه وقدره الذي كتبه عليكم، وحكمه عيكم إلى يوم البعث، يعني: عمّرت عمرًا يتذكّر فيه المتذكّر، ويتدبّر فيه المتدبّر، ويعتبر فيه المعتبر، حتى صار البعث ووصلتم إلى هذا الحال، فهذا يوم البعث ولكنكم لم تكونوا تعلمون، فأنكرتموه ولم تلتفتوا إليه، ولم تكن دار المقامة دار إنابة وتوبة، فكانت النتيجة: {فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ}

فالمقصد أنه نحن في هذه اللحظة الآن الخمسة عشر ليلة السابقة لم تكن ولا حتى ساعة فما بقي، تذكّر فيه لقاء الله، وأكثر من ذكر الله، تفز بهذه الثلاثة، تسهل عليك التوبة، وتسهل عليك الطاعة، ويسهل عليك الرضا بالأرزاق.

نسأل الله بجمته وكرمه أن يجعلنا على ملة نبينا صلى الله عليه وسلم، ملة إبراهيم الحنيفة الذي أوصى نبينا صلى الله عليه وسلم بأن يسلم على هذه الأمة وأن يوصيها بالذكر.

<sup>١</sup> العقد الفريد - أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي - (ط. دار الكتب العلمية) - الجزء الثالث صفحة ٩٦.

<sup>٢</sup> الإمام مالك.

<sup>٣</sup> مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - علي بن سلطان محمد القاري - كتاب الآداب - باب البكاء والخوف.

<sup>٤</sup> المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود - محمود محمد حطّاب السبكي - صفحة ٣٣٨.

<sup>٥</sup> [الروم: ٥٥]

<sup>٦</sup> [الروم: ٥٦]

<sup>٧</sup> [الروم: ٥٧]

فما دام نحن نتدارس ماذا نحن نعتقد في إبراهيم عليه السلام، فكان لا بد أن نقف هذه الوقفة مع ذكر الله، ومع اليقين بلقاء الله، ومع التذكير الدائم لأنفسنا بأنّ الفرص لا تعود، لا تنسوا أنّه كان من حال إبراهيم أنّه يسأل ربّه أن يتقبّل منه عمله، يسأله وهو الطّاع، المُمْتَلِئُ لأمر ربّه، يسأله أن يتقبّل منه ويقول له: **{إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}** بل ويسأله **{وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}** سبحانه الله هذه هي حال الكُمَّل يسألون الله أن يقبلهم، ويسألون الله أن يتوب عليهم، وهم الأتقياء، المطيعين، فسبحان الله العظيم.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا ممّن اغتنم ساعات الليل والنّهار في ذكره، وفي شكره، وفي التّفكّر في لقاءه، وفي الاستعداد له، وفي التّوبة من كلّ ذنب.

نسأل الله عزّ وجلّ أن يتقبّل منّا جميعاً ما مضى وبعيننا على ما هو آتي.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا ممّن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً.

نسأله سبحانه وتعالى أن يغفر لنا، ولوالدينا ولوالديهم، وللمسلمين، ولأبنائنا، ويصلح شأن الأمة ويدفع عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

هو نعم المسؤول، قريب مجيب، يشكرنا على طاعاتنا وعباداتنا، وهو المستحقّ لها ونحن المقصّرين.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يعيننا، وأن يعطينا الحول والقوّة، ويغفر لنا كلّ تقصير، اللهمّ آمين.

لازلنا مع إبراهيم عليه السلام، ولازلنا مع معرفته، ولازلنا مفتخرين بالنسبة إليه، نعلم أنّ هذه النسبة إنّما هي نسبة دين يُعترّ به، و نسبة اعتقاد تتمسك به، ونسبة عمل نسير ونتابعه عليه، وكلّ من تابع نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم فقد تابع إبراهيم، لأنّ نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم على الملة الحنيفيّة، والحمد لله ربّ العالمين أن جعلنا على هذه الملة السّميحة، وأن جعل لنا هذه الأبواب المفتوحة لطاعته، اللهمّ أعنا على اغتنامها ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

<sup>١</sup> [البقرة: ١٢٧]

<sup>٢</sup> [البقرة: ١٢٨]